يسري الرمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلاة والسلام على نبينا محمّد خاتم الأنبياء والمرسلين ،

السيدات والسادة أهل الفقيد وعائلته الكرام ،

الإخوة والأخوات الحضور الكرام ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، إنه لمن أصعب الأمور أن تقف لتؤبن انساناً عزيزاً أما بعد ، عرفته لفترة طويلة من خلال العمل معه، خاصة إذا كان هذا العمل تطوعياً خالصاً لوجه الله تعالى، من خلال خدمة فئة معينة من المجتمع محتاجة لهذه الخدمة، ولكم حاولت أن أعزيهم في ذلك إننا نؤمن بأن كلنّ أوّلنا فانٍ ، وآخرنا فانٍ ، خيرنا فانٍ ، وشرُّنا فانٍ ، أكثرنا مالا فانٍ ، وأكثرنا فقرا فانٍ . آدم عليه السلام قد مات ، وكل الأنبياء والرسل ، حتى الحبيب محمّد عليه أفضل الصلاة والسلام ، والملايين من الأمم منذ بدء الخلق وحتى يوم المحشر عليهم الموت حق . وحتى الملائكة ، ستموت . وها نحن ، منّا من يتعدى الستين ، ومنّا من لا يبلغها ، وكل الآجال بيد الرحمن .

هذا حق علينا ، وبالموت تُفصل الروح عن الجسد ، وتسكن الروح في دار الحق ، بينما يمكث الجسد تحت التراب . فكيف نتنبه للاستحقاقات التي علينا بموجبه ؟ وهل فناء الجسد هو فناء العمل ؟ وماذا سنأخذ من أعمالنا إلى آخرتنا ؟

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق عليه عن أنس بن مالك :

﴿ يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع اثنان ، ويبقى معه واحد :

يتبعه أهلُه ومالُه وعملُه ، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله ﴾

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال :

﴿ إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة :

صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ﴾

فالمبادرة إلى الصدقة في الحياة مفضلة على الوصية عند الوفاة ، فيتصدق الإنسان وهو صحيح ، ولا يُمهِل حتى تبلغ الروح الحلقوم . ففي الحديث القدسي ، أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال :

﴿ قال الله تعالى : يا ابن آدم ، أَنفِق ، أُنفِق عليك ﴾

وفي الحديث الشريف أنه ما من يوم تطلع فيه الشمسُ على الأرض إلا وقام ملكان يناديان "اللهم عجّل لمنفِقِ مالِهِ خلفا " .

أيها الإخوة والأخوات ، قد قَسّم الله تعالى الأرزاق ، فجعل من الناس الفقراء ، ومنهم الأغنياء ، ومنهم الأقوياء ، ومنهم الضعفاء . وإن من كمال الإيمان أن نُحبّ لأبناء المساكين والفقراء ما نحبُّ لأبنائنا . فإن رأى المرء نقصا في دين أخيه اجتهد في إصلاحه ، وإن رأى في أخيه جهلا ، اجتهد في تعليمه ، وإن رأى في أخيه مشقّة في معاشه ، اجتهد في إعانته . فالعلم النافع الذي تنتفع به أمّة بحالها لا يعادله شيء ، فنفعه خالد ، وأجره مستمر . أليس هذا كاف لكي نجعل لغيرنا نصيبا مما مَنّ علينا به الرحمن ، ومما نحب لأنفسنا ؟ هكذا ، يحب المرء لأخيه ، ما يحب لنفسه .

هذا كان توجّه الدكتور علي عبنده رحمه الله تعالى ، وتوجُّه الشباب الذين ساهموا بتأسيس جمعية وادي العرب الخيرية ، لأنهم أرادوا أن يعطوا من هم أقل منهم نصيبا مما بارك الله تعالى لهم به ، لأنهم أحبوا لغيرهم ما أحبوا لأنفسهم ، لأنهم آمنوا .

ومن الواجب هنا الحديث عن أهمية إخلاص النيّة في الأعمال ، بحيث يكون قصد العمل خالصا لوجه الله الكريم ، لقوله تعالى في سورة النساء :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾

أيها الإخوة والأخوات ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح :

﴿ من نَفّسَ عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا ، نَفّسَ الله عنه كُربة من كُرَب يوم القيامة ، ومن يَسّرَ على معسر ، يَسّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة ﴾

فمقابل دنانير قليلة ، أو معونة طعام أو ثياب تُعين بها مُعسراً ، يرفع الله جلّ جلاله عنك من أهوال يوم الحشر . فكُرَب الدنيا ، مهما اشتدت، ومهما طالت ، لا تزن مثقال ذَرّة مقابل كُرَب يوم القيامة ، وهذا هو اليوم الذي يرى به المرء عمله الصالح ، فيظلّله ، ويطفىء ظمأه ، ويستر عورته .

فما بالكم بمن قام على ذلك طوال ثلاثين عاماً ، وعمل على مأسسة عمل الخير ، فنستمر على هذا الطريق بعد وفاته ! كم سيُيَسِّر الله جل جلاله على علي عبنده ويخفف عنه من كُرَب يوم القيامة ، يوم الظمأ الأعظم !

فالصدقة في حياة المرء ، أيها الإخوة والأخوات ، فيها تزكية للنفس وفائدة للغيرِ وللمجتمع ، وصيانة للأهل في الحياة وبعد الممات . فمن يترك لأولاده العمل الصالح ، يجعل الله تبارك وتعالى لأهله من يتكفل بهم .

أيها الإخوة والأخوات ، في ١٩٧٥/٣/٣١ أسس الموقّعون على النظام الأساسي بمدينة عمّان جمعية باسم جمعية وادي العرب الخيرية . وبيّنت المادة الرابعة من النظام الأساسي أسماء المؤسسين ، وكان عددهم اثني عشر شاباً :

علي عبنده ، صالح الخصاونة ، عبد القادر الدلقموني ، هيثم غرايبة ، سحوم المومني ، فندي عبيدات ، مشهور العقله ، عاطف حجازي ، فتحي البطاينة ، طه حجازي ، عاصم الهنداوي ، وسليمان الروسان .

كان هذا قبل أكثر من ثلاثين عاما . واليوم ، تضم جمعية وادي العرب الخيرية العشرات من الرجال والنساء الطموحين ببناء أمتنا وإعانة أهلنا وتعليم أبنائنا ، طمعاً بالأجر والثواب من الله جلّ جلاله . وخلال هذه السنوات ، قامت الجمعية بتقديم العون المادي والعيني لمئات الأفراد المحتاجين والعائلات المستورة ، وقامت بتقديم العون للشعب الفلسطيني في أوقات العسرة والحصار ، وتستمر الجمعية بالعمل بجهد أعضائها والقائمين عليها .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجزي هؤلاء خير الجزاء بالنيابة عن كل من تلقى المعونة أو الدعم ، وأن يجزي الدكتور علي عبنده رحمه الله خير الجزاء عن أعماله الصالحة ، وأن يحتسبَها له في ميزان حسناته ، وأن يتجاوز عن سيئاته ، وأن يثبتنا وأولاده وإياكم على العمل الذي فيه صلاحٌ لشبابنا ولمجتمعنا ولأمتنا ، وأن يقبل دعاءنا له بالرحمة والمغفرة وحسن المحشر . ونسأله تبارك وتعالى القلوب السليمة والنية الخالصة لوجهه الكريم في جميع أعمالنا ، وأن يُخلّصنا من الرياء في مقاصدنا ، على سُنّة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

آمين ، والصلاة والسلام علي نبينا محمّد وعلى آله أجمعين ،
والحمد لله ربّ العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .